الفصل التاسع عشر

مضت حياتنا هادئة ليس فيها مايشوب علاقتنا أو يفتر حبنا، كنت حريصة منذ ارتبطت به أن لا أبحث عن أوجه الاختلاف بيننا، كنت مغرمة بطريقته في الحياة، فهي تختلف عني إلى حد التناقض بكل شيء، من طبعي أكره أن تكون حياتي مرهونة بحكم العادة، رغبة دائمة عندي للتجديد، ما حدث أني بتلك الفترة.. تعرفت على فتاة تعمل عندنا بالشركة تعينت أثناء غيابي عن العمل، كانت فتاة لطيفة ومرحة جدا، قدمها لي أحمد وبعدها أصبحنا صديقتين، أحببت صداقتها حتى لا أثقل على أحمد بوحدتي حين غيابه في منزل العائلة، كانت تزورنا في المنزل وحين تتأخر بزيارتها كنت أرجوها الحضور، وأحمد كان يعجبه ذلك، وحين أسأله مار أيك بها يقول عادية جدا، ولكن مرحها يضفي جوا مسليا.

obeikandl.com

في تلك الفترة كنت ألحظ أن الهاتف يرن ولا أحد يرد وهذا لم أعتده من قبل، ومع ذلك لم أعطى الموضوع أهمية، فحالة الحب التي تسكن ضلوعي تجعلني بعيدة عن تحليل أي أمر يحدث.

كنا نسهر على الشرفة أنا وأحمد، وجدته يقول حبيبتي غدا علىّ السفر هل يلزمك أي شيء أحضره لك؟

- أريدك معي حبيبي أرجوك لا تتركني.

حملني بين ذراعيه وأخذني لغرفة النوم وكانت ليلة كليلة زفافنا التي أعيش بهمسها للآن وهسيس أنفاسنا يملأ الكون.

رغم أن حبه لم يفتر ولكن كان لها طابع مختلف، كانت ليلة مشينا فيها وراء نعش الماضي وأغلقنا ذاك الصندوق السود بكل ما في، قبلاته تنهل على جسدي وعيوني تنهمر بالدموع، وأرجوه أن لا يسافر، ولكن كان مصرًا.

- إنه عمل حبيبتي...

- كم ستدوم غيبتك ..؟

- ربما شهر..

obeikandl.com

- شهر بدونك... أرتجي رائحتك ولمسات الحب والحنان التي أدمنتها.

-ستبقين معي في مسامات جلدي.

-ولكن أشتاق إليك قبل رحيلك.

وفي الصباح كان أحمد مسرعا في الخروج حتى أنه لم يشرب قهوته كما اعتدنا، وخرج مسرعا مرتجلا سيارته، خرجت أودعه ألوح له بيدي ومضى في طريق دون التفات، شعرت بغصة في حلقي لم أعرف سببا لها عزيتها حينها لشوقي إليه.

حاولت الاتصال كثيرا بصديقتنا المشتركة لأنها لم تكن تأتي إلى الشركة، أخبروني أهلها أنها في قريتهم تقيم هناك فترة راحة واستجمام وليس هناك هاتف.

بقيت وحيدة تلك الفترة، سؤال أحمد هاتفيا كان قليلا جدا ومختصرا لأنشغاله بالعمل.

وأنا حاولت جاهدة أن أنغمس في أعمال الشركة إلى حد أصل المنزل مرهقة، عدت للحبوب المهدئة بفترة غياب أحمد عني وكنت أخذها بشكل دائم، أدمنتها رغم كل التعب في العمل ووجود حليمة معي ولكن الليل كان موحشا باردا بين جدرانه تأتيني

obeikandl.com

أطياف أخافها، أركض مسرعة ألجأ لحبوب كنت تركتها منذ أحببت أحمد ولازمني حبه بكل تحركاتي بين العمل والمنزل، لم أكن أشعر بحاجة للهروب من أي واقع على العكس كنت أريد فوق لحظاته تلك لحظات إضافية أعيشها معه بكل حالات الصحيان، مضى أكثر من شهر على غياب أحمد وفي ليلة كنت جالسة على الشرفة شبه نائمة من كثرة الحبوب التي أتناولها وأشرب سيجارتي ودموعي تنسكب دون سبب هي أصبحت ترافق تناولي لتلك الحبوب، سمعت صوت حليمة ترحب بفرح ..

ووجدته أمامي: بقيت مكاني لا أعلم أين فرحتي بقدومه ماذا حدث لي وهو مبتسم يقول:

-ما رأيك بهذه المفاجأة

«حين سمعت صوته عرفت لم يكن حلما وقفت وطوقته بذراعي أبكي ولكن شعرت ببرود غريب، تراجعت وحالة ذهول بادية على وجهي»

- أحمد أنت لم تأت بعد.!!

- حبيبتي مشتاق لك حد الوله ولكني متعب من السفر تعالي إلى غرفتنا لنرتاح.. مرهق جدا.

obeikandl.com

وما أن استلقينا على السرير حتى كان أحمد ينام في عمق غريب.

خرجت من الغرفة ناديت حليمة أين أحمد، من هذا الذي ينام في سريري.

ضحكت حليمة وقالت: سيدتي هذا من تأثير الحبوب التي تأخذنيها، أحمد ينام بسريره، اذهبي ونامي بجانبه ستشعرين بدفئه حينها تتأكدين أنه معك.

أنا في الشرفة حليمة أحضري لي فنجانا من القهوة

تملك مني صمت الأموات وأخذت الدفتر و منذ ذلك الحين قررت أن أكتب كل الماضي والحاضر فطعم المرار الغامض ومذاق اليأس القاتل في تلك الليلة شعرت بأني أجمع بين خيبات الأمل الماضية والحاضرة بكل ما فيها من قهر وبقيت حتى الصباح وأنا أدون حتى غفوت والقلم بيدي ولم أصحو إلا على صوت أحمد ينادي:

- حياة هل نمت حبيبتي هنا لماذا لم تأت إلى السرير.

لم ينتظر أن يسمع مني جوابًا أكمل حديثه

- يجب أن أذهب إلى المكتب لقد تأخرت على الشركة.

- وأنت لن تأتي معي ..

obeikandl.com

- لدي عمل خارج الشركة لن أتأخر.عليك أن تذهبي وتتابعي العمل بنفسك فأنا لا أثق بأحد غيرك.

كنت مازلت تحت تأثير الحبوب التي أخذتها وبين الذهول والخيبة كانت سحابة سوداء تمر أمام عيني أشعر بها تسرق أحلامي تخنق أنفاسي، أشعر بأني في حالة اكتئاب لا أستطيع الخروج منها

«حسان يقطب حاجبيه يهز أطراف قدميه بتوتر، يشعل سيجارته يجاهد نفسه حتى لا يصرخ أو يمزق الدفتر الذي بين يديه، يجادل وينظر للورقة وكأن حياة هي من تحدثه كان يريد ضربها ولكنه خشي أن تصاب بأذى فهو يحبها بعمق يغضب منها تارة، يؤنبها تارة أخرى وتارة يطوقها بذراعيه بكل حنان، ليحميها من غدر الزمن

يتابع حسان القراءة دون تعليق»

خرجت من المنزل حائرة باهتة الملامح علائم التعب والإرهاق يظهران على وجهي والسواد قد طوق عينى من السهر، في طريقي للمكتب لمحت سيارة أحمد ولكن لم يكن بمفرده كانت بجانبه فتاة جميلة وقفت لعله يراني ولكن لم يلحظ وجودي كان في حالة انسجام مع تلك الفتاة، ذهبت للمكتب وتابعت سير العمل هناك بتلك الروح الكئيبة عند الباب وجدت أحمد ينتظرني ناداني

- حياة حبيبتي أتيت لنذهب ونتناول الطعام معا كم اشتقت لتلك الجلسات الجميلة. كان يتكلم بكل هدوء يفتعل الضحك يبالغ في إرضائي، فتح باب السيارة وقال بمرح تفضلي يا أميرتي لم أنظر إلى عينيه حاولت أن أكون طبيعية ولكن هدوئي كان يدعو للاستغراب

- مابك حبيبتي هل أنت متعبة. لم تنامي البارحة جيدا.؟؟

كان يتكلم كثيرا لم أكن أسمع سوى دوي في أذني وحركة الشفاه، تناولنا طعام الغداء وأنا في صمت طويل، عدنا للمنزل وحين وصلنا رن جرس الهاتف تكلم أحمد بصوت خافت لم أسمع ماكان يقول.كنت أنا لا أريد أن أسمع شيئا، أغلق السماعة وأخبرني أنه مضطر للنزول لأمر مهم وخرج من المنزل دون أن ينتظر جوابا مني .

تكرر غيابه عن البيت وزادت حالة الصمت عندي حتى أنها وصلت مرحلة الخرس ربما كان تأثير الصدمة من هذا التغيير المفاجئ من أحمد وساعد عليها أيضا تلك العقاقير التي تعودتها وأدمنتها لأهرب مما أنا فيه، كنت أمل أن يعود لي أحمد يوما فهو من علمني أن القبلة هي الحب وليست هي الاشمئزاز، هو من علمني أن الحب، هو انصهار روحين لا جسدين وكل ما يأتي بعده هو

تتويج لهذا الحب كنت أتلقى أكثر من مكالمة هاتفية تخبرني أن زوجي يلتقي بأخرى كنت أغلق الهاتف دون تعليق وأغرق في بحر دموع الذي بدا يخط طريق سيله على وجنتاي، أنظر إلى المرآة أقف ساعات هل ياترى لم أعد جميلة كفاية حتى ينظر لأخرى أصبحت أكلم نفسي كثيرا وبصوت عال، كانت حليمة تنظر إليّ بحزن شديد لا تريد أن تتكلم أو تعلق عما يحدث هي كانت شاهد عليه وتعرف كل ما مر به أحمد من نزوات والأخبار التي كانت تأتي عن لقاءاته مع غيري ولكن كانت تمر دون أن تؤثر على علاقتنا، لم أكن أفكر بها هو معي لم يتغير كنت أعتبر كل ما أسمعه هو نوع من الغيرة لما نحن فيه من سعادة ولم أنقل له ما يصلني...

obeikandl.com